

أثر خطير

كنيس الصالحية

للأستاذ عز الدين التنوخي

كاتب سر المجمع العلمي العربي

جهازة رائعة ، وشارة جميلة ، الى وجه سائر مسنون ، وأنف
أفنى ، وعينين ناطقتين في صورة انسان سبط القوام ، متناسب
الأعضاء ، تلمح عليه دلائل القوة والفتوة ، وتلمع في عينيه شواهد
النبل والفضل

في لوح مستطيل منها ترى صورة موسى النبي بيده الألواح
وهو بوجهه المخروط الصبيح ، يشبه السيد المسيح ، تحيط به حالة
قاعة اللون من شعر رأسه الفاحم ولحيته السوداء ، وكان لألهة
الاعراب حتى تزيد في هيبة الرجوه ووقارها

وفي لوح آخر تشاهد صورة السمومل وهو النبي (صموئيل)
يمسح بالزيت رأس النبي داود الواقف بين إخوته الستة قابضاً
بيمناه يسراه كما يقبض المصلّي إذا صلى

وفي لوح ثالث آخر صورة أحشوروش (الملك الأسد) ملك
فارس وبابل وزوج إستير وقد استوى على عرشه الممّس
الدرجات ، وعلى يساره الملكة إستير مُنقذة لإسرائيل ، وهي على
عرشها ؛ وعلى جانب كل عرش صورة أسد أو نسر من ذهب ،
وعلى واجهة إحدى الدرجات قد نقش اسم الملك (أحشوروش)
فاذا أراد الملك الصمود محي عرشه وقف على الدرجة السفلي فترفع
به حتى تساوى الثانية التي فوقها ، فينتقل إليها فترفع به إلى
الثالثة ، والثالثة ترفعه إلى الرابعة ، وهذه إلى الخامسة ، فيستوى
هنالك على عرشه العظيم ، وبذلك يشبه هذا الدرج العجيب
مصممة (أسانسور) هذا المصنوع ؛ ويقال إن هذا المرش هو
عرش سليمان مسلوباً من بيت المقدس ، إذ وجد فوقه لوح آخر
يمثل سليمان الحكيم على عرش لا يختلف بشيء عن المرش البابلي
مما يرجح القول بنقله إلى بابل ، وعلى يسار هذا اللوح لوح آخر
يمثل ابن عم الملكة إستير وهو مردخاي ممتطياً صهوة جواد
أشهب مطهم يقوده هامان الوزير قصاصاً له وانتقاماً

وهنالك لوح آخر مؤلف من سبع قطع ، تمثل إلياس النبي
مع أسباط إسرائيل ، وهو يدعو الله أن يحيي له ثلاثة من الموتى
فيعث الله لانعاشهم أرواحاً ثلاثاً ، والروح منها ممثلة بشكل
امرأة تطير بجناحها ، وتهبط هذه الأرواح على أجسادها فتهب
من رقادها ، وعلى رأس أحدهم يد بمصمها ترفع الميت المنتثر
من وفرة رأسه

دوى في دمشق تلمح به الألسنة ويردده الهواء بين الأحياء ،
وصدى الدهر يُشير من النفوس روائح الدهشة ، وييمث فيها
نوازع الاستطلاع ، ويُعين على تمكين ذلك من النفس التاريخ
بإتماده ، والتخيل بامتداده ، ماثت من السنين ، ومثات من
الشعوب والقبائل والأجيال تمرّ وتنطوي على كنيس الصالحية
ما بين دير الزور وأبي كمال ، وهو (منذ أسس بنيانه سنة ٢٤٤
ب . م) لا يزال قائماً بفارح جدرانه ، وماثلاً برائع ألوانه ،
يُمرّب بلسان الزمن عما مرّ بالبشر من أيام هناء وبلاء ، مخبراً عن
أم زالت ، ودول دالت ، وأحوال حالت ، مما يحصن به أبناء
المصر الحاضر حقائق الدهر الغابر ، فينقلب به ما كان حقيقة
وهماً ، وما كان وهماً حقيقة

كنيس الصالحية ، وما أدراك ما كنيس الصالحية ، رأيت
ألواحها الجبسية المقطوعة بالنشار متفرقة ، وهي أوصاله بل أشلاؤه
الممزقة ، فراغني — لعمر الحق — منظرها ، وأكبرت بمد
التأمل الطويل مخبرها ، ثم تصورت هذا الكنيس الأثرى النفيس ،
وقد التأمت بجوار السلطانية غداً أجزاءه ، والتحمت بمد طول
الشتات والبلى أشلاؤه ، فلك بتصوره القلب قبل الطرف ، وألهج
اللسان باستحسان ما لا يحيط به الوصف البارح واللسان الميين ؛
ذلك أن صور تلك الألواح لا ينقصها لأتقانها إلا الأرواح الثيرة ،
والقوى الهيرة ، فتمزك ببيونها ، وترمز اليك بشفاها ،
وتجدتك بأفواها عن جليلة أحوالها ، وأخبار رجالها ونسائها
وأطفالها ، ولو أنها استطاعت ذلك لأغنت النقبين والمؤرخين
عن كثير من التنقيب والاستقراء والاتفاق المستمر الفادح ،
والفناء المتواصل النهك

أجل ، هذه الألواح لا ينقصها إلا الأرواح ، فان لكل منها

١٦ - قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكي

وكل كلية العلوم

بستور Pasteur

صلة حديثه

وذهب « جرنيه » إلى الشمال يدرس دود القز في مدينة فالنسين Valenciennes ، فكتب اليه بستور أن يعيد لإجراء التجربة الفاشلة . سأله هذا ولم يدر لم سأله ، وكان جرنيه قد حصل على مجموعة طيبة من الدود السليم ، وكان يعتقد على الرغم من تشكك أستاذه أن تلك الكريات التي في باطن الدود ليست سوى أحياء تتطفل عليه فتقتله . فأخذ أربعين دودة سليمة وغذأها بأوراق من التوت لم يمسه أبداً دود مريض ، فخرج من هذه الأربعين سبع وعشرون دودة نسجت سبماً وعشرين شرققة . وخرج الفراش من الشرائق خلواً من الكريات ، فمئذئذ عمداً إلى فراشات مريضة فسحقها ولوث بسحقها أوراقاً من التوت ، وغذى بهذه الأوراق دُودات سليمة صغيرة ، عمرها يوم واحد ، فلم تلبث هذه الدُودات أن مرضت وهزلت وماتت موتة بطيئة . وتغطى جلدها بالبقع السوداء ، وامتلاً جسمها بكريات الداء . وبعد هذا لوث أوراقاً أخرى بسحق الفراش المريض وغذى بها دوداً سليماً نامياً بالغاً كان على وشك أن ينسج الشرائق . فهذا الدود عاش حتى أتم نسج توبه الحريري ، ولكنه لما استحال إلى فراش خرج هذا الفراش وبجسه الكريات اللعينة ، وباض فكان البيض فاسداً . فسرى « جرنيه » ونار ، وزاد سروره وزادت ثورته في الليالي التي أكب فيها على مكربونه كلما رأى هذه الكريات تزيد في الدود كلما زاد انضماراً وقارب الفناء

وأسرع « جرنيه » إلى بستور يصرخ له : « حُلَّت المسألة فهذه الكريات حيّة لأنها طفيليات ، وهي التي تُمرض الدود ! »

واستغرق بستور ستة أشهر ليقنع بمقالة « جرنيه » . ولكنه

ومن تلك الألواح ما يمثل موسى عليه السلام طفلاً يخرج من الم ابنة فرعون وقد ذهبت مع جواربها تفتسل في النيل فوجدته عائداً في سبط يتغلغل بين أوراق البردي ، وإلى جانبها جاريتان تحمل إحداهما صندوقاً صغيرة تشتمل من أدوات الطبيب على مالا غنى للفتسل عنها ، وهي عادة مصرية قديمة

كانت كنائس اليهود قبل عهد هذا الكنيس لا تستوعب أكثر من ٤٥ مصلياً ، ولكن قاعة هذا الكنيس المستطيلة تستوعب ضعف هذا العدد ، أي نحو مائة من المصلين ، فقد كانت أبعادها (١٣,٥ متراً طولاً في ٧,٥ عرضاً في ٧,٥ ارتفاعاً)

ومما يدل على أبهة هذا الكنيس النفيس أن عمراه القائم في صدره قد كان يزهو بطنافس فارس الجميلة ، وتبصر على جانبه صورة شمعدان من الذهب ذي سبع شعب ، في كل شعبة منها شمعة تبدد بعض ظلام الكنيس ؟ وكانت مقاعد المصلين مُنَشَّأة أيضاً بالطنافس كما استدل علماء الآثار على أن سباه (مسقفه) كانت مشيدة بالقرمذ المزين المنقوش ، وكانت أرضه مفروشة أيضاً بنفائس الطنافس

هذا ولئن كانت الأمم تقاس برجالها ، والرجال توزن بأعمالها ، فقد حق علينا أن نتمم هذه الكلمة بكلمة أخرى عادة في شكر من كان سبباً لحفظ هذا الكنيس في بلادنا ولاعادة بنائه في دمشق غداً ، وهو صاحب المال وزير مزارنا المهام السيد حسني البرازي ، فقد حاولت بعثة الحفر والتنقيب الأمريكية أن تستأثر به وتحرم من الانتفاع به تلك الأمة التي نبش من ترابها ، ليُنْبئ عن عمراتها وأحوال أديانها وآدابها ، وكادت تفلح لولا جهادهم الميمون وحسن مساعده لدى الفوضية التي حققت بأخيرة أمنيته ، نخدم بذلك أجل خدمة بلاده وأمنته : ذلك لأن هذا الكنيس المنقطع القرين لم تفتح العين على مثله بعد ، ولهذا يقدر بعض علماء الآثار ثمنه بأكثر من مليون جنيه ، ويمدونه استثناءً أثرياً لقواعد الكنائس اليهودية التي تحرم التصوير ، وما كانت صورة هذه الهرمة بمظيمة الخطورة لدارسي تاريخ الشريعة فحسب ، إذ هي لدارسي تاريخ الفن أعظم خطراً ، وأبلغ لعمري أنراً

عز الدين الترمذي
كاتب سر المجمع العلمي العربي

دمشق